أشد العقوق

تبصرة لشاب خبب أمه على أبيه

قال الشيخ الصالح:

ألم يأن لك أن تدرك فداحة الجرم الذى ارتكبته؟ هذا أبوك وهذه أمك اللذان أمرالله أن تحسن إليهما فقال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾ [الإسراء: ٢٣]

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾ [العنكبوت: ٨]

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ... ﴾ [الأحقاف: ١٥]

فهل ما فعلته يدخل فى دائرة الإحسان إليهما.

قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله.» فهل مافعلته يدخل فى دائرة الخير.

هذا أبوك وهذه أمك اللذان أمر رسول الله ﷺ أن تبرهما وفضل برهما على الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله فقال: « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله» فهل ما فعلته يدخل فى دائرة البر. وهل من البر أن تعقهما بالتفريق بينهما وتعذيبهما. وهل اطمأن قلبك إلى فعلتك. قال رسول الله ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى الصدر وخشيت أن يطلع عليه الناس.» وقال: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك.»

هذا أبوك وهذه أمك اللذان نهى رسول الله ﷺ عن عقوقهما واعتبر العقوق كفرا من أكبر الكبائر فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثا) الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور.» وقال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر.» فهل ما فعلته يخرج عن دائرة الكفر والكبائر.

إن مافعلته يحرمك من ثواب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان. قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان. مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.»

هذا أبوك وهذه أمك اللذان لعن الله من فرق بينهما. قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لعنهم الله تعالى: «رجل رغب عن والديه ورجل سعى بين رجل وامرأته يفرق بينهما ثم تخلف عليها من بعده ورجل سعى بين المؤمنين بالأحاديث ليتباغضوا ويتحاسدوا» فهل ما فعلته يخرج عن هذه الدائرة. وهل تعرف معنى لعنة الله؟ إنها الطرد من رحمته. ومن يطرد من رحمته فمصيره إلى النار.

هذا أبوك وهذه أمك اللذان يحرم الله الجنة على من يعقهما ولاينفعه أى عمل. قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث الذى يقر الخبث فى بيته.» وقال: «ثلاثة لاينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف.» وقال: «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسة مائة عام ولايجد ريحها عاق ولاقاطع رحم.» فهل ترضى أن يحرم الله عليك الجنة؟

هذا أبوك وهذه أمك اللذان لاتقبل صلاة من يسخطان عليه. قال رسول الله ﷺ: «لاتقبل صلاة الساخط عليه أبواه غير الظالمين له.» فهل تحب أن لاتقبل صلاتك؟

هذا أبوك الذى أخرج رسول الله ﷺ من خبب أمك عليه عن دائرة المسلمين. قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من خبب على امرئ زوجته.» فهل ترغب فى الخروج عن دائرة المسلمين.

هذا أبوك وهذه أمك رضا الرب فى رضاهما. قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين.» فهل تؤثر سخط الرب على رضاه؟

هذا أبوك وهذه أمك من أحزنهما فقد عقهما. قال رسول الله ﷺ: «من أحزن الوالدين فقد عقهما.» وأنت لم تحزن والدك فحسب بل عذبته بحرمانه من زوجته التى يحبها ولايطيق فراقها سنوات طويلة. والله تعالى يعذب ويلعن من يعذب الناس. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا.» وقال: « ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به.» فهل تحس مدى الجرم الذى اقترفته؟ وهلى ترضى أن يعذبك الله ويلعنك؟

هذا أبوك لم ترحمه والله لايرحم من لايرحم الناس. قال رسول الله ﷺ: «لايرحم الله من لايرحم الناس.» وقال: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء.» أفلا تود أن ترحم أباك بإصلاح ما أفسدته فيرحمك الله؟

هذا أبوك دعوته مستجابة. قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم.» وقال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.» أفلا تخشى دعوة أبيك الصالح المظلوم؟ يقول رسول الله ﷺ: «إياكم ودعوة المظلوم وإن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله عز وجل».

هذا أبوك وهذه أمك. أليس من الظلم أن يتفرقا؟ قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.» فهل يحلو لك استمرار هذا الظلم؟

هذا أبوك وهذه أمك قد فرقت بينهما. فهل ترضى أن يفرق أحد أولادك بينك وبين زوجتك ويعقك ولايبرك عندما تبلغ الكبر؟ إنك لن ترضى ذلك أبدا. فكيف ترضاه لوالديك؟ ارض لغيرك ما ترضاه لنفسك يابنى. قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم.» وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «وأما التى بينك وبين عبادى فارض لهم ما ترضى لنفسك.»

هذا أبوك وهذه أمك. ألا تحب أن يصبح لك بابان مفتوحان من الجنة؟ إن أصبحت مطيعا لله فيهما أصبح لك بابان مفتوحان من الجنة. قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مطيعا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة».

ألا تحب أن تكون من خير المسلمين؟ لاتؤذ المسلمين بلسانك ولا بأعمالك. سأل رجل رسول الله ﷺ: أى المسلمين خير؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

ألا تحب أن يرحمك الله؟ أصلح بين أبيك وأمك يرحمك الله. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]

﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ...﴾ [الأنفال: ١]

قال رسول الله ﷺ لأبى أيوب: «ألا أدلك على تجارة» قال: بلى يارسول الله. قال: «تسعى فى إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا.» وقال ﷺ: «من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة.» وقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة (أى المهلكة).» وقال: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة.»

يابنى إن كل امرئ يعلم أن الله قد خلق لنا من أنفسنا أزواجا لنسكن إليها وجعل بيننا وبينهم مودة ورحمة فهن لباس لنا ونحن لباس لهن. وقد كان ما بين أبيك وأمك من حب وحسن معاشرة وتآلف مايضرب به الأمثال. يقول الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ...﴾ [الروم: ٢١]

﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...﴾ [البقرة: ١٨٧]

فلماذا نقضت ما شرعه الله تعالى؟ لماذا يا بنى؟ ألنزغة من نزغات التكفير والهجرة عندما اتهمت أباك الصالح بالكفر وأوعزت إلى إمك أنه كافر ودمه حلال وأنها محرمة عليه؟ فأيكما الكافر: أنت أم أبوك؟ قال رسول الله ﷺ:

«أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما. إن كان كما قال وإلا رجعت إليه.» وقال: «لايرمى رجل رجلا بالكفر ولايرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

ولماذا يابنى؟ ألنزغة من نزغات الشيطان؟ أفلا تتذكر وتبصر؟ يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

فهل تحب أن تكون من أصحاب السعير؟

ولماذا يابنى؟ ألهوى النفس لكى تهجر أمك بيت زوجها وتعيش معك لخدمتك وخدمة أولادك؟ قال رسول الله ﷺ: «إياكم والهوى فإن الهوى يصم ويعمى» إن النفس يابنى أمارة بالسوء. ولقد استجبت لهوى نفسك بأثرة وأنانية لتبنى راحتك على انقاض بيت أبيك وأمك غير مبال بما يصيب والدك من أذى وعذاب ومايصيب أمك من غضب الله عليها. قال رسول الله ﷺ «أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت فى سخط الله تعالى حتى ترجع إلي بيتها أو يرضى عنها زوجها.» وقال: «اثنان لاتجاوز صلاتهما رءوسهما عبد أبق من مواليه وامرأة عصت زوجها حتى ترجع.» وقال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة.» وقال: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العئود التى إذا ظلمت قالت هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى.» وقال: «ما استفاد المؤمن من بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أرادها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن اقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته (أى حفظته) في نفسها وماله.» وقال: «المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها فلتدخل من أى

الجنة شاءت.» وقال: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح.» وقال: «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها.» وقال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح.» وقال: «لاينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لاتشكر زوجها وهى لاتستغنى عنه.» وقال: «لاتؤذين امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحورالعين لاتؤذينه قاتلك الله هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا.» وقال: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها.» وقال: «إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير فلا تمنعه.» وسئل رسول الله ﷺ عن حق الزوج على المرأة فقال: «لو أن من فرقة إلى قدمه صديدا فلحسته ما أدت شكره».

يابنى.. وا أماك.. وا أماك.. إنها كلما ثابت إلى رشدها وأحست بذنبها وخشيت ربها وحنت إلى زوجها وعزمت على الرجوع إليه قامت زوجك بإيغار صدرها عليه بشتى الوسائل غير المشروعة وأطلقت عليها قذائف متوالية تدمى قلبها وتخمد فيه أحاسيس حبها لزوجها وتسد منابع الشوق إليه وتقتل جذور السلام وتشعل جذوة الشر. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ١، ٢]

يابنى.. وا أمالك.. وا أمالك.. إن أى نفس بشرية لاتحتمل ما احتملت أمك.. أى قسوة هذه وأى ظلم.. أليس لكم قلوب وأحاسيس ومشاعر ورحمة؟ إنها أمك يابنى.. وإنه أبوك.. يكتويان بأعمالكما ويتعذبان فى دنياهما بسببكما. وأنتما لاتباليان فقد طبع الله على قلبيكما وسمعكما وأبصاركما. يقول الله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝١٠٩﴾ [النحل: ١٠٨، ١٠٩]

إن أباك يابنى يحب أمك ويتألم بألمها ويشقى بشقائها ويحس بكل ما يصيبها ويدعوالله أن يخلصها من أعدائها الذين بددوا صفاء نفسها وقضوا على سعادتها.

يابنى الرحمة.. الرحمة بأبويك اللذين ربياك صغيرا. فلقد بلغا من العمر ما لا يستطيعان فيه أن يتحملا ماهما فيه من عناء وما يحتاجان فيه إلى الرعاية والأمن والطمأنينة والسكينة والسلام. يقول الله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]

يابنى الرحمة.. الرحمة بنفسك من عذاب يوم عظيم. يوم تشهد عليك جوارحك فتنظر ما قدمت يداك. يقول الله تعالى:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٤، ٢٥]

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]

يقول الشاعر:

ولاتحسبن الله بغافل ساعة ولاأن ما تخفيه عنه يغيب

ويقول شاعر آخر:

هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود

يابنى.. إن مظالم العباد تقود صاحبها إلى النار. قال رسول الله ﷺ: «الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر وديوان لايغفر وديوان لايترك. فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى: وأما الديوان الذى لايغفر فالشرك بالله تعالى. وأما الديوان الذى لايترك فمظالم العباد».

يا بنى.. أتظن أن صلاتك وصيامك وزكاتك وحجك وعمرتك يتشفعن لك يوم القيامة فى مظلمتك أبويك؟ كلا. إن رسول الله ﷺ يقول: «أتدرون من المفلس.» قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع. فقال: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار.» يقول الله تعالى:

﴿ ...أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦]

﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٧]

﴿ ... قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣]

﴿ ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ... ﴾ [الأحزاب: ٥١]

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

فلتنظر يابنى ما قدمت لغد. فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]

قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

يابنى ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى. قال رسول الله ﷺ: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.» وقال: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب.» وقال: «لايستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه».

يابنى اتق الله وأبصر عيوب نفسك واجعل لك واعظا من نفسك وزاجرا من قلبك يحببك الله . قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه.» قال: «إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله» قيل: كيف يستعمله يارسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت».

سأل سفيان بن عبدالله الثقفى رسول الله ﷺ: قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

يابنى.. جاهد نفسك فى طاعة الله وفى طلب مغفرته. قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله». وقال: «إياك وكل أمر يعتذر منه.» وقال: «إن الله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه.»

يقول الله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات. ومن أشفق من النار انتهى عن الشهوات. ومن تيقن من الموت انهدمت عليه اللذات. ومن عرف الدنيا هانت عليه المصيبات».

ألا يقشعر قلبك وتبكى عينك يابنى من خشية الله؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا قشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجر ورقها.» وقال: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله.» وقال: «لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة.» وقال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

فاتق الله يابنى.. قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

واعلم يا بنى أن تلاوتك القرآن لا تجدى لك نفعًا ما دمت لم تعمل به وكنت عاقًا لوالديك. قال رسول الله ﷺ: «لم يتل القرآن من لم يعمل به ولم يبر والديه ومن أحد النظر إليهما». وقال: «إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية».

واعلم يا بنى أن صلاتك لا تنفعك ما دامت لا تنهاك عن مظالم العباد. قال رسول الله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا». وقال: «كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب». قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «لا خير فى صلاة لا خشوع فيها».

إن العبادة يا بنى ليست مجرد صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وتلاوة وتسبيح بدون توبة خالصة ورد المظالم واستحلال الخصوم وعمل الصالحات. فإن من صلى وزكى وصام وحج واعتمر وتلا القرآن وسبح دون أن يتوب ويرد المظالم ويستحلل الخصوم لا ينال ثواب صلاته وزكاته وصومه وحجته وعمرته وتلاوته وتسبيحه. فالثواب لمن يجعل صلاته صلة بالله فى سائر حركاته ويجعل زكاته تزكية لنفسه من المعاصى ويجعل صيامه جنة من العودة إليها ويجعل حجه وعمرته فرارًا إلى الله فى كل أمر ويجعل تلاوة القرآن زادًا يملأ قلبه بالإيمان فيعمل بما جاء به ويجعل تسبيحه دافعاً للإحساس بذنوبه والتوبة والرجوع إلى الله.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

﴿...وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

يا بنى ارجع إلى الله وتب إلى الله فإن الله تواب رحيم. يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الحديد: ١٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

قال الشاعر:

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن

يقول الله تعالى:

﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

﴿... أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ...﴾ [النساء: ١٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ [التحريم: ٨].

﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال رسول الله ﷺ: «كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون.

وقال: «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». وقال: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة».

فيابنى انفض غبار الأثرة والأنانية وارجع إلى الله وتب إلى الله وقل

بقلبك ولسانك وأنت تبكى ندمًا وخشوعًا وخوفًا: رجعت إلى الله وتبت إلى الله وندمت على ما فعلت وعزمت على أن لا أعود إليه أبدًا.

وبادر يا بنى بالذهاب إلى أبيك وإعادة أمك إليه كما أخذتها منه باحتيال وقبل يديه وابك بين قدميه معلنًا عن ذنبك ومستعطفًا ومستسمحًا إياه فستجده سمحًا عطوفًا. فأبوك يا بنى لا يعرف الكراهية إنما هو يحب أو لا يحب ولكنه لا يكره وخاصة فلذات أكباده بل يطلب لهم من الله الهداية والرشاد.

ولا تبد يا بنى معاذير لإبقاء الوضع على ما هو عليه، واعلم أنك لن تستطيع بهذه المعاذير أن تتقى غضب الله وعذاب الله.

وتوبتك يا بنى تبدأ بالإحساس بالذنب والندم ولوم النفس على ارتكابه والإقلاع عنه بإعادة أمك إلى أبيك والعزم بحياء من الله وبخوف منه على عدم ارتكاب هذا الذنب أبدًا. وعليك يا بنى أن تصبر على مخالفة الهوى ونزغات الشيطان وأن تعتمد على نفسك فى رعاية أطفالك وأن تعتصم بالله وتتوكل عليه وتستغفره وتذكره كثيرًا طمعًا فى قبول توبتك. وعليك أن تذكر الموت وتعمل للآخرة وأن تذيب نفسك فى الطاعة وأن تذيق نفسك مرارتها وأن تقضى ما فاتك من صيام أو صلوات وأن تقضى ما عليك من نذر أو كفارات. ولن تقبل توبتك إلا بعد رد المظلمة إلى أبيك والاعتراف بذنبك واستحلاله وعمل الصالحات. ولا تقبل توبتك إذا حضرك الموت. قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة من أخيه فليحلله منها». «إذا تاب العبد ولم يرض خصماؤه فليس بتائب».

يا بنى.. أمامك طريقان: طريق يؤدى إلى الجنة وطريق يؤدى إلى النار. وأنت حر تسلك أيهما تشاء. والله المعين على هدايتك. ولقد أبصرتك بما يرضى الله ورسوله. قال الله تعالى:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها».

وقال: «لا يجوز أحد الصراط حتى يسأل عن ظلمات الناس». وقال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المتشبهة بالرجال والديوث». وقال: «وإن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب».

ردد يا بنى بقلبك قول الشاعر:

إنى بليت بأربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا على شراكا
إبليس والدنيا ونفسى والهوى ... من أين أرجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدنى بعفو إننى ... أصبحت لا أرجو لهن سواكا

وردد قول الشاعر:

يا رب هب لى توبة أقضى بها ... دينا على به جلالك يشهد
أنت الخبير بحال عبدك إنه ... بسلاسل الوزر الثقيل مقيد
أنت المجيب لكل داع يرتجى ... أنت المجير لكل من يستنجد
من أى بحر غير بحرك نستقى ... ولأى باب غير بابك نقصد

يا بنى... أتود أن يطلق أبوك أمك. إن امرأتك قد أغرت أباك على أن يطلقها لتضمن استمرار بقائها معكما. يا لفظاعة هذا الجرم. أتحجر قلباكما أم سيطر عليكما هوى النفس؟ لا أقول نزغات الشيطان، وإنما هو هواكما الجامح الذى ستر عنكما المشاعر الإنسانية. وحجب عنكما مبادىء الأخلاق الإسلامية فلم ترعيا أوامر الله ورسوله. ولم تأبها بما يصيب أباك. ولم تقما وزنا للحب العظيم الذى يكنه أبوك لأمك.

يا بنى... متى تبلغان مرتبة الإيمان فيهدى الله قلبيكما؟ يقول الله تعالى: ﴿...وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾ [التغابن: ١١].

إن الله تعالى ينزل السكينة فى قلب المؤمن ليزداد إيمانًا. يقول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ...﴾ [الفتح: ٤].

والله تعالى يتم نوره على من ينشرح صدره للإسلام ويضل من يقسو قلبه ولا يذكر الله فى جميع حركاته فى الحياة. يقول الله تعالى:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

أحسبتما أن الله لا يعلم ما تزرون إنه سيخرج ما فى صدوركم يوم القيامة ويحاسبكم عليه حسابًا عسيرًا ويعذبكم عذابًا أليمًا. يقول الله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

هذه أمك تمكران للإبقاء عليها معكما لخدمتكما فإذا ما استغنيتما عن خدمتها بعد زواج أولادكما هل تطيقان بقاءها معكما؟ أو إذا ما بلغت من العمر أرذله ولم تقدر على القيام بخدمتكما أو خدمة نفسها واحتاجت إلى من يخدمها فهل تطيقان وجودها وخدمتها؟ حينئذ ينفضح أمركما أمام الناس إن كنتما تخشيان الناس ولا تخشيان الله العالم بأسرار قلبيكما ونواياكما.

أتكذبان على نفسيكما أم على الناس أم على الله أم أنتما ممن ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة. يقول الله تعالى:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

أولئك كالأنعام بل هم أضل بل هم غافلون عن الحق لهم قلوب لا يفقهون بها أوامر الله ونواهيه ولهم أعين لا يبصرون بها ما وقع منهم ولهم

آذان لا يسمعون بها موعظة. وسيعلمون أى منقلب ينقلبون فقد ذرأهم الله لجهنم وبئس المصير فويل لهم من عذاب يوم أليم. يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿ ...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٦٥].

يومئذ تسران الندامة وتودان لو أن لكما ما فى الأرض جميعًا ومثله معه لافتديتما به من سوء العذاب. يقول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥٤].

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

ويومئذ لا ينفعكما معذرتكما ولا أنتما تستعتبان. يقول الله تعالى:

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم: ٥٧].

ويومئذ لا تجدان حميمًا ولا شفيعًا لأن الله لا يحب الظالمين. يقول الله تعالى:

﴿ ... مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

﴿ ...وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٧، ١٤٠] [التوبة: ١٩، ١٠٩].

أفلا تتدبران القرآن وتعملان بما جاء به أم على قلبيكما أقفال فهما لا يعيان ما تتلوان. يقول الله تعالى:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

إنك يا بنى تردد كثيرًا لا إله إلا الله والله أكبر فهلا عملت بلا إله إلا الله والله أكبر ولم تتخذ من الشيطان وليًا ومن هوى النفس حميمًا. وهلا عملت بلا إله إلا الله والله أكبر ولم تعص الله وحفظته فى أعمالك وسلوكك ومعاملاتك. يقول رسول الله ﷺ: «إياكم والهوى فإن الهوى يصم ويعمى».

قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا اللهقال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة». من قال ذلك من قلبه أى وهو يؤمن بما يقول إيمانًا خالصًا ويعمل بما يقتضيه هذا الإيمان بالعمل بما يرضى الله ورسوله دخل الجنة. قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: «الرياء».

يا بنى... ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن. فطوبى لمن استعاذ بالله منه ولم يجعل له مدخلاً فى قلبه. قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن». وما يلقيه الشيطان يا بنى لا يكون فتنة إلا للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم. يقول الله تعالى:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[الحج: ٥٣].

وإنك يا بنى تدعو الله كثيرًا فهل تتوقع استجابته دون أن تحيى قلبك؟ قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعونى استجب لكم؟ قال: لأن قلوبكم ميتة. قالوا: وما الذى أماتها؟ قال: ثمان

خصال: عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا فواطأتموه على المعاصى، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فيكف يستجيب لكم؟».

يا بنى.. إنك تستغفر الله كثيرًا فهل تتوقع أن يغفر لك الله وأنت لم تذكر ذنوبك ولم تحس بها. إنما الاستغفار يا بني يكون من ذنب أحسست به وندمت على فعله ولمت نفسك وأقلعت عنه وعزمت على عدم الرجوع إليه وصبرت على مخالفة الشيطان والهوى واعتصمت بالله وتوكلت عليه ورددت المظالم واستحللت الخصوم فسامحوك وتذكرت الموت وعملت للآخرة وأكثرت من العمل الصالح. بعدئذ تستغفر الله تجد الله غفورًا رحيمًا. يقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

يا بني تذكر ذنوبك وعلى رأسها أنك خببت أمك على أبيك وأنك تأمر بالمعروف ولا تأتيه وتنهى عن المنكر وتأتيه. فهل أمرت أخويك بالمعروف ونهيتهما عن المنكر عندما تكررت اعتداءاتهما على أبيك هما وزوجتاهما؟ وهل فعلت ذلك عندما بدد أخوك مقتنيات أبيك وسلبها؟ إنك نفسك قد

شاركتهم وكنت راضيًا عما يتعرض له أبوك من إيذاء طمعًا فى إخراجه من بيته وعدم رجوعه إليه حتى لا يكون له مسكن زوجية إذا فكرت أمك فى العودة إلى أبيك. ألم تتدبر قول رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» أى فإن لم يستطع فبمقاطعة مرتكبى المنكر. فهل قاطعتهم؟ كلا. إنك قد ظاهرتهم وزدت أحبال المودة معهم. ألم تتدبر قول رسول الله ﷺ: «من شهد منكم منكرا فرضى به فكأنه قد فعله».

يا بنى.. ألا تود أن تكون من خير الناس. قال رسول الله ﷺ: «خير النسا آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر». وقال: «بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر».

يا بنى.. ألا تود أن تذوق حلاوة العبادة. إن حلاوتها فى اجتناب محارم الله وفى الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله والنهى عن المنكر اتقاء غضب الله. يقول الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يا بنى.. لا تكن ممن يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه. قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى به فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه».

يا بنى.. إنما الأعمال بالنية. قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرىء ما نوى». وقال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت. قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل.

ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله وأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار». يقول الله تعالى:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا... ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامه».

يا بنى.. إنك عايشت جريمة اتهام أبيك بالباطل زورًا وبهتانًا ووقفت موقف اللامبالاة فلم تتقدم بالشهادة وما كنت تتقدم بها حتى ولو حكم عليه بالسجن. فهل تود أن يقال لك يا آثم القلب أم يقال لك يا خير الشهداء؟ يقول الله تعالى:

﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ... ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الشهداء. الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها».

يا بنى.. يا ويل أمة يكثر فيها أمثالك ممن يستمرئون ظلم والديهم وتعذيبهم ولا يتورعون عن الفتن فتأخذ الأمة بأخذ القرون قبلها. قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن». وقال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا». وقال: «إنكم ستلقون

بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض».

يا بنى.. إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فتفقه يا بنى فى دينك ينصلح قلبك ويستقم إيمانك وتحب للناس ما تحب لنفسك. واعرف المحكم فى القرآن من المتشابه واعرف الناسخ والمنسوخ. فلا تقف عند المتشابه دون الرجوع إلى المحكم. ولا تقف عند المنسوخ دون الرجوع إلي الناسخ. فلا تقف مثلا عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. دون الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وإلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين». وقال: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه». وقال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهى القلب».

يا بنى.. ألا تعلم أن الله حق وأن الجنة حق وأن النار حق. فاتق الله يا بنى واعلم أن اليوم عمل بلا حساب. وغدًا حساب بلا عمل. واتخذ العدة لسفرك الطويل فاعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا واعلم أن التوبة لا تقبل ممن حضره الموت فعجل بالتوبة واحفظ الله يحفظك الله. قال رسول الله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». وقال: «احفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله يعرفك فى الشدة». وقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة». وقال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». وقال: «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة».

قال الشاعر:

قدم لنفسك قبل موتك صالحا ... واعمل فليس إلى الخلود سبيل

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

يا بنى.. أترضى الزنى لأبيك. قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه». وقال: «إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت فى قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما فى نفسه». فكيف يأتى أبوك امرأته ليرد ما فى نفسه وقد فرقت بينهما. ويحك يا بنى.. ويل لك يوم القيامة إن لم تتق الله وتتوب إليه وترد المظلمة فترحم أباك يرحمك الله. قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء». وقال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

يا بنى.. أتريد لأبيك أن يتزوج امرأة أخرى. أفقدت البصر والبصيرة. إن أباك يا بنى يحب أمك حبًا جما وإلا ما تحمل هذا الابتلاء وصبر ورضى بقدر الله منتظرًا الفرج من الله أن يهديك فترجع أمك إليه. وما أحلى رجوعها إليه. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إذا أراد الله بعبد خيرًا أو أرد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا». وقال: «إذا أحب الله عبدًا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه». يقول الله تعالى:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ألا أعلمك شيئًا يا بنى.. أخلص فى العبادة فاجعل حركاتك فى الحياة خالصة لوجه الله لا يشوبها شرك ظاهر ولا شرك خفى فتعبد الله كأنك تراه

وتوقن أنه يراك فتخافه وتخشاه وتعمل ما يرضيه وتستعين به وتتوكل عليه وتعلم أنك محاسب على أعمالك.

والعبادة الخالصة لله هى خشوع لله وخوف من مقام الله واتقاء لغضب الله وطمع فى عفو الله وفى مغفرة الله وفى رحمة الله. فكن محبًا لله واخلع حب الدنيا وارتدى حب الآخرة واسلك طريق القناعة والزهد والورع والخوف والرجاء والصبر والتوبة والشكر والحمد والدعاء والاستغفار والذكر والتهجد والمناجاة والرضا بقضاء الله والتوكل على الله وسد مداخل الشيطان والتصدي لهوى النفس.

وكن ممن يحبون الله حبًا خالصًا لذات الله لا خوفًا من العذاب ولا ردءا لبلاء ولا حبًا فى نعم الله ولا حبًا فى الجنة وإنما حبًا خالصًا لذات الله لا تنظر فى شىء إلا وترى فيه الله فترى الأمور كلها من الله فلا توجه وجهك إلا لله. فإذا أحببت الله حبًا خالصًا لذاته أحبك الله وبصرك بعيوب نفسك. قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه».

والإخلاص فى العبودية سر من أسرار الله ونور من نور الله استودعه الله قلب من يحبه. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى». وقال ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغى به وجهه».

فحاسب نفسك يا بني وراقبها قبل أن تقدم على أى عمل. قال رسول الله ﷺ: «إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته فإن كان رشدًا فامضه وإن كان غيا فانته عنه». وقال: «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات». يقول الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وراقب نفسك يا بنى أثناء ممارسة أى عمل حرصًا على خلوه من المعاصى. قال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقال: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشىء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا».

يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

وحاسب نفسك يا بنى بعد أداء أى حركة من حركات الحياة وذلك للتأكد من خلوها من المعاصى. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ومحاسبة النفس هى سؤالها عما فعلت من حسنات وعما اقترفت من سيئات وذلك للتأكد من خلو النيات والأعمال من المعاصى ولحض النفس على الاستقامة وفعل المزيد من الخيرات. فإذا ما وجدت نفسك قد ارتكبت معصية أحسست بالذنب وندمت ورجعت إلى الله وتبت واستغفرت واستقمت وذكرت الله كثيرًا ورددت المظلمة واستحللت الخصم. وعلامة الندم البكاء. وعلامة التوبة رد المظالم.

ولا تجدى الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة عنك شيئًا إذا لم ترد المظالم. إنما تسقط عنك هذه العبادات إذا ما أديتها ولكن لن تنال من ثوابها شيئًا فلا تربو حسناتك ولا تقبل توبتك ولا تستجاب دعوتك. فإن رغبت فى أن تقبل توبتك وفى أن تستجاب دعوتك فعليك أن ترد المظالم وأن تستحل من أسأت إليه.

قال رسول الله ﷺ: «كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون».

فإذا ما أحسست بذنب سارع إلى التوبة والاستغفار وذكر الله كثيرًا وأقبل على ما يقربك إلى الله ووبخ نفسك وجاهدها على مغالبة أسباب ارتكاب

الذنب من نزغات وهوى وشهوات. يقول الله تعالى:

﴿ ... وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

قال رسول الله ﷺ: «إنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة».

وقال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى». وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». وقال: «من كانت عنده مظلمة من أخيه فليتحلله منها».

وكن يا بنى ورعا تتقى المشبهات. قال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وهذا هو ورع الصالحين.

وإن شئت أن ترقى سلم القربى إلى الله فاتق بعض الحلال مخافة أن يكون حرامًا.

قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس». وهذا هو ورع المتقين.

وإن شئت أن ترقى إلى أقرب مرتبة إلى الله فاتق كل ما ليس لله. وهذا هو ورع الصديقين. قال رسول الله ﷺ: «من لقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الإسلام كله».

نصيحة أخيرة يا بنى.. ادع الله أن يصرف عنك الشيطان والهوى واستقم. قال رسول الله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم». ولا تقرأ يا بنى إلا الصحيح وتدبر ما تقرأه واعمل به لعل الله يهديك واعلم أن الله رقيب عليك. قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلم بأن الله معك حيث كنت». وقال: «أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله عليه بها سخطًا».

اللهم قد بلغت.. اللهم قد بلغت.. اللهم قد بلغت.. اللهم فاشهد.